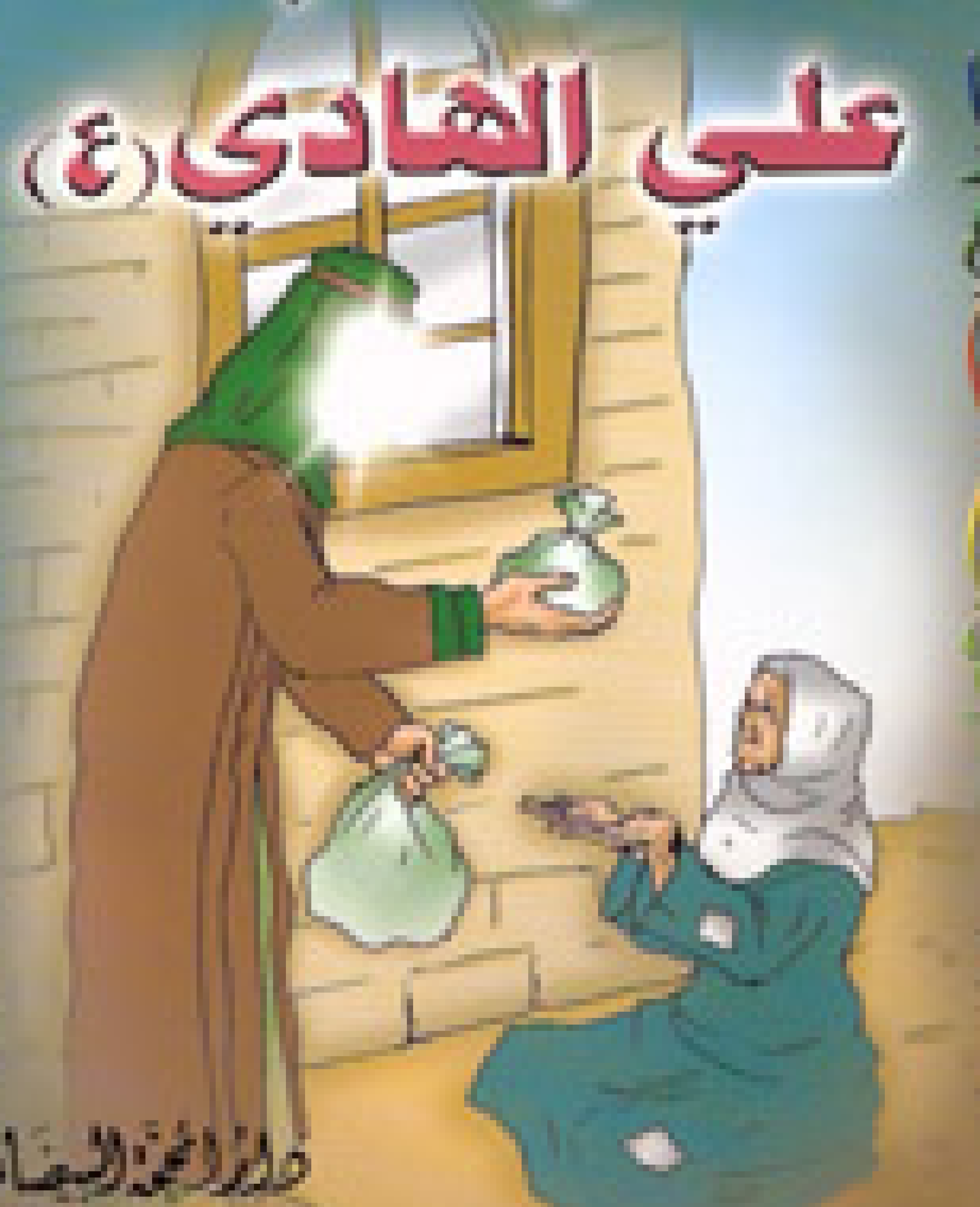
سلسلة حياة الرسول وأهل بيته

الإمام علي الهادي (ع)



دار المحجة البيضاء

على بابِ المتوكِّل، الحاكمُ العباسيّ المتجبّر، وقفَ أشرافُ العلويين والعباسيين وسادةَ القومِ بانتظارِ أن يُؤْذَنَ لهم بالدخولِ، وفي هذهِ الأثناءِ قَدِمَ غلامٌ، فهبَّ القومُ جميعاً وترجّلوا عن دوابِهم توقيراً وإجلالاً لَهُ.

فقالَ البعضُ متسائلين:

ـ «ولِمَ نترجَّلُ لهذا الغلامُ، وما هو بأكبرِنا وأشرفِنا والله لا نَترجَّلُ له».

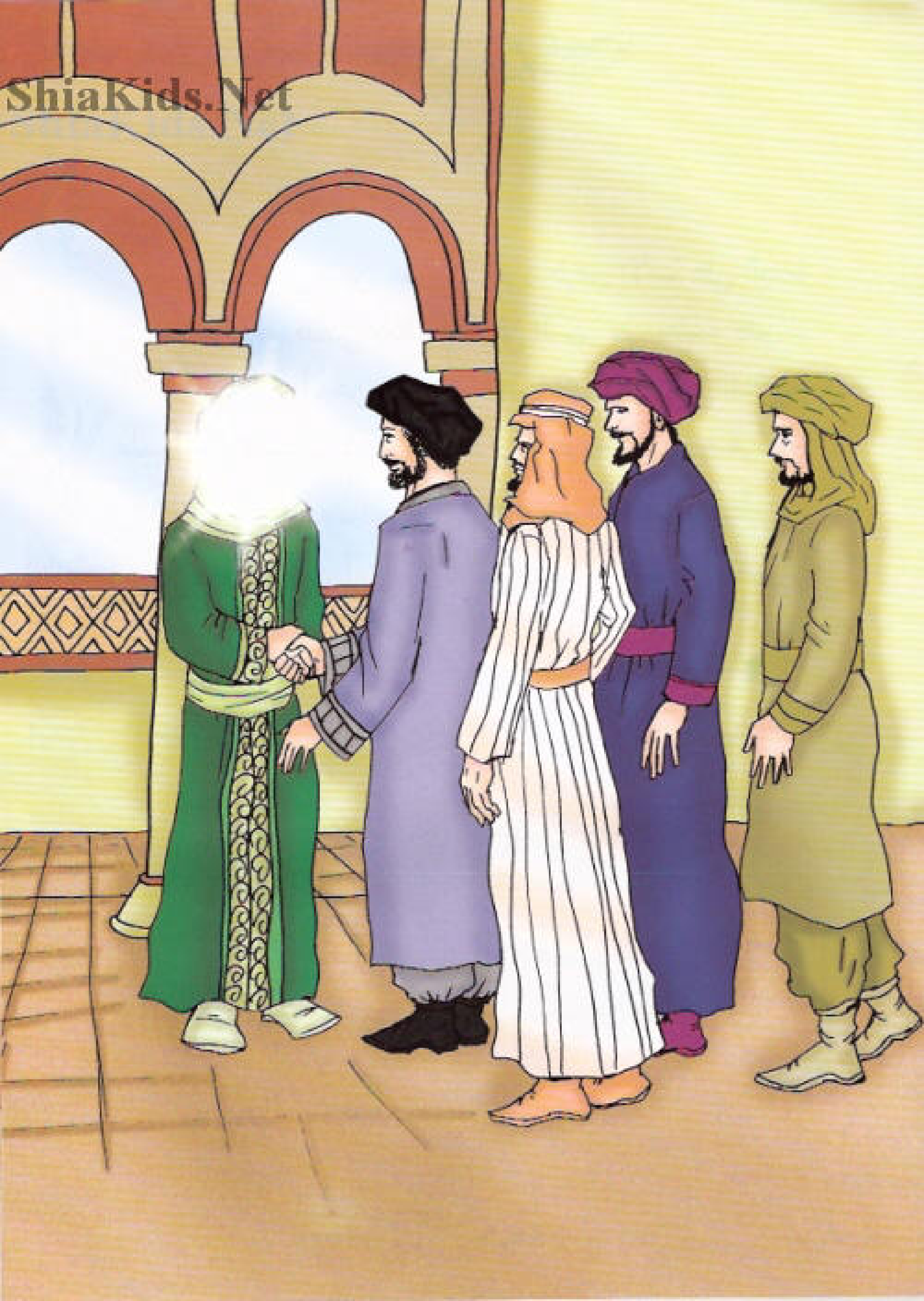
ردَّ عليهم أحدهم:

ـ «والله ستفعلونَ أذلَّةً إذا رأيتُموه».

فلمّا قَدِمَ، وجدوا أنفسَهُم وبدونِ شعورٍ يترجَّلون أذلّةً كما قالَ الرجل.

ShiaKids.Net

كانَ هذا الغلامُ الذي تهبُ النّاسُ وقوفاً عند رؤيته هو الإمامُ عليَّ بنُ محمد (عليهما السلام) ولد في المدينةِ في ١٥ ذي الحجة عام ٢١٢ هجرية. وفي موضعٍ من أحيائها يسمى «صريا». وعندما شاعَ خبرُ ولادتهِ المباركةِ شاعَ السرورُ في «صريا» وكُلُّ أنحاءِ المدينةِ، وجاءَ الجميعُ مهنّئينَ، ومباركينَ، لإمامِ المدينةِ الأعظم، الشابِ محمدِ الجواد (ع) قُرَّتَ عينِ أبيهِ بمولدهِ، وفَرِحَتْ أمُّهُ (سمانة) المغربيةُ، أو السيدةُ كما كانت تُدعى. وهي امرأةٌ فاضلةٌ وعظيمةٌ، كانت تقيّةً زاهدةً، تصومُ عامَها كُلَّهُ، وهيَ من أهلِ الجنّةِ.


ShiaKids.Net

منذُ مولدِهِ، وفي سنين عمرِهِ الأولى، حَرِصَ الأبُ على العنايةِ بابنِهِ الأثيرِ لديهِ، فقضى معظمَ وقتِهِ في السهرِ على تعليمِهِ علمَ آلِ البيتِ المتوارثِ أباً عن جد. واستوعبَ الصبيُّ كُلَّ ما ألقاهُ وما عَلَّمَهُ أبيهِ إيَّاه بسرعةٍ عجيبةٍ، وأجادَ في هذهِ العلومِ رُغْمَ صِغَرِ سنِّهِ.

انقضَتْ سنواتُ طفولتِهِ مع أبيهِ سريعاً، فذاتَ يومٍ جاءَتْ رُسلُ المتوكلِ، تطلبُ من أبيهِ الإمامَ الجوادِ(ع) تلبيةَ رغبةِ المتوكلِ، بالحضورِ إلى بغدادَ.

فتسأَلَ الإمامُ(ع):

ـ «وماذا يريدُ منّي؟».

ـ «إنَّهُ يُريدُكَ بقربِهِ، ينتفعُ بعِلمِكَ، ويريدُ منكَ أنْ تُرْشِدَهُ وتنصحَهُ بأمورِ الحكمِ».

ويذهَبُ الإمامُ محمد الجواد(ع) لكنّه لم يرجع إلى مدينةِ جدِّهِ رسولِ اللهِ(ص) فقد سقاه المتوكلُ السُمَّ فماتَ ودُفِنَ في بغداد.



عند وفاةِ أبيهِ، تقلَّدَ الإمامُ عليٌّ الهادي(ع)، الإمامةَ وهو ابنُ ثلاثةَ عشرَ عاماً. وكان أبوهُ قد أوصى أتباعَهُ بالرجوعِ إليهِ في حالِ حصولِ مكروهٍ لهُ في سفرهِ إلى بغداد. فجلسَ مكانَ أبيهِ في المسجدِ، وجاءَتْ إليهِ النّاسُ من كلِّ مكانٍ، وأُصيبوا بالدهشةِ لهذا الصبيِّ، وإحاطتِهِ بجميعِ علومِ عصرِهِ.

عُرِفَ الإمامُ عليٌّ الهادي(ع) بأنه كانَ فاضلاً، متواضعاً أحبّتهُ النّاسُ وسكنَ قلوبَ الجميعِ. كان يعطفُ على الفقراءِ، ويُنفقُ كلَّ ما لديهِ على المساكينِ والمعوزينَ من أهلِ المدينةِ.

سَطَعَ نجمُ الإمامِ الشابِ، وجاءت إليهِ العلماءُ، والْتفَّتْ النّاسُ من حولِهِ، ولم يكن والي المدينة بعيداً عن ما يجري فخافَ من عُلُوِّ المنزلةِ التي حازَ عليها الشابُ، فكتبَ إلى المتوكّل أن يُخرجَ الإمامَ من المدينةِ وإلا انقلبت عليهم.

أثارَ كتابُ والي المدينةِ مخاوفَ المأمونِ، فأرسلَ مبعوثَهُ «يحيى بن هرثمة»، لاصطحابِ الإمامِ إلى سامراء.



ShiaKids.Net

حينَ وصلَ المبعوثُ ضجّتِ المدينةُ بالبكاءِ، خوفاً على الإمامِ(ع). دُهشَ المبعوثُ لمكانةِ الإمامِ العظيمةِ، وطمأنَ النّاسَ بأنّهُ سيُحْسِنُ معاملتَه، ولن يُصيبَهُ أي مكروه. وخرجَ بصحبةِ الإمامِ إلى سامراء، عاصمةِ الدولةِ الجديدة.

وصدقَ «ابن هرثمة»، فقد أحسنَ للإمامِ طوالَ رفقتِه، لكنَّ المتوكّلَ لم يكن كذلكَ. فهو من أشدِّ حكامِ بني العباسِ عداءً لآلِ البيت. اضطهدَ العلويين وحاربَهُم في معيشتِهم، حتى كادوا يموتونَ جوعاً، وبلغَ من حقدِهِ أن منعَ النّاسَ من زيارةِ قبرِ الإمامِ الحسينِ(ع) وتهديدهم بالعقوبةِ، وعندما لم تنفع تهديداتُه، قَدِمَ على هدْمِ قبرِ الحسينِ(ع) وإغراقِهِ بالماءِ.

أظهرَ المتوكلُ ما كانَ عليهِ من خُبثٍ فحينَ وصلَ الإمامُ(ع) إلى سامراءَ أسكنَهُ في خانٍ حقيرٍ، يؤُمُّهُ الأعرابُ والصعاليكُ، وأبقاهُ فيهِ بضعةَ أيام.

واستمرَّ المتوكلُ بأسلوبهِ المتعجرفِ في التعاملِ مع الإمامِ فقد إستدعاهُ عدّةَ مراتٍ إلى قصرهِ بدونِ داعٍ، وأمرَ رجالَهُ ذاتَ يوم بمهاجمةِ دارِ الإمامِ وتفتيشِها، لإيجادِ أي ذريعةٍ لقتلِه. ولكنهم لم يعثروا في البيتِ المتواضعِ على شيءٍ غيرَ المصاحفِ.


ShiaKids.Net

أكثرَ المتوكلُ من استخفافِهِ واستهتارِهِ بمنزلةِ الإمام علي الهادي(ع) العظيمةِ. فحزنَ الإمامُ، وأثقلَتْ عليهِ الهموم فدعا ربَّهُ الخلاصَ من هذا الطاغيةِ المستهترِ.

فلم تمضِ ثلاثةُ أيامٍ، حتّى قُتِلَ المتوكلُ على يدِ ابنِهِ المنتصر.

بوفاةِ المتوكلُ، وتولى ابنهُ المنتصرُ الحكم، انتهتْ فترةٌ من أقسى الفتراتِ التي مرّتْ على العلويين، كان المنتصرُ متعاطفاً مع العلويين، ولم يرضَ بما فعلَهُ أبيه وأسلافِهِ معهم. فأحسنَ إليهم، وأوقفَ مضايقةَ الولاةِ لهم، ومنحهُم الكثيرَ من المالِ تعويضاً لما حدثَ لهم في زمنِ أبيهِ، وأَعزَّ من منزلةِ الإمام(ع)، وعاملَهُ معاملةً تليقُ بمكانتِهِ العظيمةِ.

وجدَ الإمامُ في عهدِ المنتصرِ المتسامحِ، حريّةَ الاتصالِ بأصحابِهِ وأتباعِهِ، وطلبَ منهم القدومَ إلى سامراءِ، ولم يتأخروا فقد قدموا بصحبةِ ابنِهِ الحسن(ع)، وبفضلِ وجودِهِ في سامراء أصبحَتْ المدينةُ مقصداً للعلماءِ، وازدهرَتْ فيها حركةٌ فكريةٌ ودينيةٌ لم تعرفها من قبل.



ShiaKids.Net

لكنْ عصرَ التسامحِ هذا لم يدمْ طويلاً...

فبعدَ أشهرٍ قليلةٍ من توليهِ الحكمَ قُتِلَ المنتصرُ...

تَوَلَّى المستعينُ الحُكم، ثمَّ المعتز، وانتشرَتْ الفوضى في أركانِ الدولةِ التي أصبحَتْ تُحْكَمُ من أمراءِ الجيشِ الأتراك.

وسطَ هذهِ الفوضى والاضطرابات، أقدمَ أحدُ أعوانِ المعتز بدسّ السُّمَّ للإمام عليّ الهادي(ع). فارقَ الحياةَ على أثرها في ٣ رجب سنة ٢٥٤ هجرية ولم يكن عندَ فراشهِ حينَ وفاتهِ أحدٌ غير ابنهُ الحسنُ العسكري(ع). أقيمَتْ لهُ جنازةٌ مهيبةٌ، وخرجَ وراءَ نعشهِ الأمراءَ والقادة والأشرافَ وولاةَ العهد، ومن خلفهِمْ أهالي سامراء يبكونَ الإمامَ العظيم.

فسلامٌ عليهِ يومَ وُلِدَ ويومَ ماتَ ويومَ يبعثُ حياً.

